العرب
الثلاثاء 2021/04/13
السنة 43 العدد 12029

بايدن في اضطرابه العقلي

علي الصراف
كاتب عراقي

هل يعرف الرئيس الأميركي جو بايدن حقا ماذا يريد من إيران؟ الجواب الذي تستطيع توقعه من المتحدثين باسمه هو أنه يعرف. ولكن ضع ما يريد، في مقابل ما يقدمه لإيران من تنازلات، وستخرج بإحدى نتيجتين هما: إما أنه يتخبط أو أنه يعاني من اضطراب عقلي.

إيران، بحسب تصنيف الخارجية الأميركية، هي أكبر دولة راعية للإرهاب في العالم. الأدلة على ذلك كثيرة إلى درجة أنها تكفي لكي تجعل الأعمى بصيرا. إلا أن الرئيس بايدن لا يراها. وهو يحرك مسؤولي وزارة الخارجية لكي يقدموا التعهد تلو الآخر بأن الولايات المتحدة تعتزم رفع العقوبات عن إيران. وهو ما يعني إيصال عشرات المليارات من الأموال لأكبر دولة راعية للإرهاب في العالم. فهل يظن السيد بايدن أن هذه الأموال ستذهب للأعمال الخيرية؟

> نظرية «عودوا فنعود» لمعالجة العودة إلى الاتفاق النووي ليست مجرد غطاء وهمي لتلبية مطالب حكام إيران بل هي استعداد مجاني للتواطؤ مع إيران تحت ذريعة التخلي عن تطوير قنبلة نووية

"الحوار الاستراتيجي" بين مسؤوليه وبين العراق انتهى إلى الإقرار بأن يكون العراق خاليا من "القواعد الأميركية والأجنبية". أي أن الولايات المتحدة سوف تنسحب من قواعدها في العراق، وألا تكون هناك "قواعد أجنبية" أيضا، وهي إشارة خجولة إلى أن إيران أو تركيا لن تقيما قواعد في العراق. وهو ما يشير إلى تشوش ذهني حقيقي. ذلك أن لإيران قواعد أينما وجد الحشد الشعبي. وهو جيش تابع للحرس الثوري الإيراني. فهل يجهل السيد بايدن ذلك؟

تقديم الخدمات بين الدول لا يقتصر على تنازلات مجانية. يكفي فقط أن تترك فراغا يحتله الآخر، أو أن تقدم تسهيلات يستفيد منها الآخر، أو أن تتذرع بمطالب واهية فتحصل عليها، بينما تقدم للطرف الآخر ما يريد الحصول عليه. وهذا ما يجعلك متواطئا عن عمد أو مجنونا.

انسحاب القوات الجوية الأميركية من العراق كان بمثابة إعلان لا يرقى إليه الشك بأن الرئيس بايدن يريد أن يُخلي الساحة في العراق لإيران وميليشياتها. ولم يمض وقت طويل حتى انتهى "الحوار الاستراتيجي" إلى إخلاء كل ما بقي من قواعد أميركية في العراق.

هذا الفراغ من سيتكفل باحتلاله؟

وما كان ذاك الحوار إلا حوارا تحت غطاء رسمي بين ميليشيات إيران وبين واشنطن، وانتهى بأن كرّس اتفاق العام 2008 الذي كان بمثابة اتفاق تسليم وتسلم بين واشنطن وطهران لإدارة السلطة في العراق، مع بقاء المصالح الاقتصادية الأميركية قائمة فيه.

ليس هذا فحسب. نظرية "عودوا، فنعود"، لمعالجة "العودة إلى الاتفاق النووي"، ليست مجرد غطاء وهمي لتلبية مطالب إيران. إنها استعداد مجاني للتواطؤ مع إيران تحت ذريعة "التخلي عن تطوير قنبلة نووية".

قد يبدو الرئيس بايدن وكأنه يتصرف بدوافع غبية، ولكنها في الواقع دليل على تشوش ذهني لا يتناسب مع الزعم القائل إنه "يعرف ما يريد". فهو من الناحية العملية يقدم خدمات لإيران، ولكنه يحاول إيجاد تبرير "إجرائي" لها لكي لا يبدو تصرفه فاقعا.

لقد جف ريق الكلام للتأكيد على حقيقة أن التهديد النووي الإيراني ليس هو التهديد الحقيقي. التهديد هو أعمال الإرهاب وزعزعة الاستقرار التي تمارسها جمهورية العصابة التي يقودها علي خامنئي في عدد من دول المنطقة.

كل ما يبدو أن إدارة بايدن تخافه هو أن يظهر هناك في طهران مَنْ يهدد إسرائيل بتلك القنبلة النووية. ولكن لا يوجد دليل واحد على أن إيران تمثل هذا التهديد لإسرائيل بالفعل. وجمهورية العصابة تعرف جيدا تكاليفه الباهظة.

وفي الواقع فإن هذه الإدارة لا تخاف من ذلك التهديد المزعوم بالفعل، ولكنها تبيع الخوف من أجل التغطية على شيء آخر.

بايدن يتصرف في الواقع كخادم لتلك العصابة. أولا، لأنه سبق وأن مارس تواطؤا معها في العراق على امتداد ثماني سنوات عندما كان نائبا للرئيس، وأشرف بنفسه على كل أعمال التنسيق والتعاون مع طهران. وثانيا، لأنه يريد العودة إلى تقاسم الكعكة مع طهران وليس إخراجها من دوائر النفوذ التي أنشأتها عن طريق عصابات الجريمة والفساد في العراق وسوريا ولبنان واليمن. وثالثا، لأنه يريد نصيبا من عقود التجارة مع إيران يفوق نصيب الصين التي ينظر إليها كمنافس تجاري.

أكثر من ذلك، فإنه يسحب قواته من منطقة الخليج ويعيد النظر في الشراكة الدفاعية مع المملكة العربية السعودية لإرضاء إيران بأكثر مما يمكن أن يفعله أيّ مأجور يعمل لصالح الحرس الثوري.

معاداته المكشوفة للسعودية هي وحدها مؤشر كاف إلى أنه يسعى إلى تقديم مكافآت لعصابة الولي الفقيه. تلك المعاداة تتخذ من جريمة مقتل شخص واحد ذريعة لتعديل استراتيجي تاريخي في العلاقة بين حليفين يعود تاريخ التحالف بينهما إلى زمن الرئيس روزفلت، بينما يتجاهل جرائم القتل اليومية التي ترتكبها عصابة الولي الفقيه تلك داخل إيران وخارجها.

بايدن، إذا كان واعيا بما يفعل، فإنه بكل أسف يتصرف كشخص وفيّ لتواطؤاته السابقة مع إيران، ويريد أن يجددها بأن يضيف إليها خدمات جديدة.

السؤال الكبير الذي يواجه دول المنطقة هو: ما العمل حيال متواطئ يهدد الاستقرار الإقليمي ويتجه إلى أن يكون أكبر ممول للإرهاب في التاريخ، وذلك بأن يُفرج عن عشرات المليارات من الأموال لجمهورية الحرس الثوري وهو يعرف جيدا أين يمكن لهذه الأموال أن تذهب.

بايدن يعرف إيران جيدا. ومثلما أنه لم يسع إلى تغيير مسالكها في السابق فإنه لا يسعى إلى تغيير مسالكها الآن.

ولو كان هناك من ينظر إلى إيران على أنها يمكن أن تعود لتتصرف كدولة لا كمجرد تنظيم ميليشياوي فهذا وهم لا يتوهمه بايدن أصلا. ذلك لأنه تعايش معه ولم يشكل مصدرا للقلق أو الضيق لديه على الإطلاق.

الجرائم التي كانت تمارسها ميليشيات إيران في العراق على امتداد سنوات حكم الرئيس باراك أوباما لم تقلقه هي الأخرى وتعمد الصمت عليها، لأن تلك الميليشيات ظلت تحافظ على حصة الولايات المتحدة من كعكة النهب والفساد في العراق.

"عودوا، لنعود" ماذا تعني؟ لا شيء في الواقع. والجانب الإجرائي منها ليس معقدا إلى تلك الدرجة التي تحول دون التوصل إلى "خارطة طريق". وها أن اجتماعات "5+1" في فيينا، تحدد لها الخطوات لكي تبدأ المليارات تنهال على إيران.

المشكلة لا تكمن هنا. فذلك ما سوف يحصل في النهاية. المشكلة الأهم هي أن دول المنطقة تحتاج إلى إطار استراتيجي جديد يحفظ لها حقها في الدفاع عن استقرارها، أو ينأى بها على الأقل عن عواقب أعمال التواطؤ التي تمارسها إدارة بايدن.

تقليص وجود القوات الأميركية في الخليج خطوة اتخذها بايدن للتعبير عن موقف استراتيجي لا يمكن أن تغطيه المداهنات. وهذا ما قد يبدو وكأنه أزمة قيد التكوين. إلا أنه يمكن في المقابل أن يكون مصدر فرصة قيد التكوين أيضا.

الولايات المتحدة ليست في النهاية القوة العظمى الوحيدة في العالم ولا هي مصدر السلاح الوحيد. ولا التعاقدات معها إجبارية عندما لا تحترم التزاماتها الاستراتيجية.

تذهب بطاريات باتريوت (وتم سحب اثنين منها بالفعل)، وهي فاشلة على أيّ حال، ويمكن أن تحل محلها أس – 400. كما تمكن الاستعانة بغيرها. وأهم من ذلك فلن تعجز دول المنطقة عن أن تعثر على إطار دولي ما لحفظ السلام والأمن الإقليميين، وسواء شاركت به الولايات المتحدة أم لم تشارك، فإنه يمكن أن يحقق النتيجة نفسها لجعل المنطقة في مأمن من تعديات إيران وانتهاكاتها. وهو مأمن تضمنه وتحميه قوتها الدفاعية الخاصة.

ما قد يبقى عالقا، دون حل، هو أن هذا البايدن يقدم خدمات لـ"أكبر دولة راعية للإرهاب في العالم" من دون أن نعرف بأيّ ممسحة سوف يمسح ذلك التصنيف أو كيف سيقنع الكونغرس بما يفعل أو ما إذا كان اضطرابه العقلي سوف يتطور إلى أن يصبح حارسا لنفوذ إيران في المنطقة بدلا من مكافحته.

روسيا وحزب الله.. تودد وتوجس

بهاء العوام
صحافي سوري

في منتدى فالداي يبشر وزير الخارجية الروسي العالم بأن الاجتماع المقبل للجنة الدستورية السورية سيحمل تغيّرا. لا أحد يعرف بعد إن كان لافروف يقصد فقط جلوس رئيسي وفدي الحكومة والمعارضة مع بعضهما لأول مرة منذ بدء المفاوضات، أم أن هناك شيئا آخر لا تريد موسكو الإفصاح عنه. ولكن مؤشرات عديدة تقول إن موسكو تبلور استراتيجية جديدة لها في سوريا بعيدا عن حلفاء الميدان، أي طهران.

ينتاب الإيرانيين وحزب الله اللبناني قلق إزاء تلك الاستراتيجية الروسية الغامضة منذ فترة قصيرة. فيسافر وفد للحزب إلى موسكو يستوضح الأمر من جهة، ويوضح خطوط طهران الحمراء بشأنه من جهة أخرى. مصير "الرئيس" كان مفتاح الحديث طبعاً، والسؤال الذي يدور في ذهن الحزب ومشغليه هو ببساطة هل تخلت روسيا عن بشار الأسد وبدأت تعد العدة لرحيله أم لا تزال متمسكة به وتدعم وجوده؟

لم ولن، ترهن روسيا وإيران وجودهما في سوريا بمستقبل شخص واحد فقط، ولكن توقيت إزاحة الأسد عن السلطة وطريقتها هما ما يشكل فارقا بالنسبة إلى كليهما. فبشار الأسد في نهاية المطاف جسر نحو مرحلة ثانية من الاحتلالين الروسي والإيراني للبلاد، ولكن متى وكيف تنتهي هذه المرحلة؟ هذا ما يحاول الإيرانيون والروس التنسيق بشأنه إلى أقصى حد ممكن دون أن يضطر أحدهما للغدر بالآخر أو مواجهته؟

في الحقيقة، التساؤل بشأن موقف روسيا من الأسد يدور في خلد كثيرين من خصوم دمشق وحلفائها. وهو يشغل بال السوريين المؤيدين والمعارضين على السواء منذ تطبيق عقوبات قيصر، وعجز موسكو عن إقناع الغرب والعرب بمقاربة جديدة للأزمة تبقي "الأسود" في الحكم لسنوات قليلة أخرى، خاصة وأن الإدارة الأميركية الجديدة لا تبدو متحمسة كثيراً لحل الأزمة أو حتى للحوار مع الروس بشكل عام.

الاستعصاء في تطبيع علاقات الجوار والعالم مع الأسد يدفع بالروس إلى البحث عن بدائل تريد أن تعرفها إيران. والسؤال عبر حزب الله لن يعكس شقاقا كبيرا بين موسكو وطهران في هذا الملف، كما يقول للكرملين إن الحزب محط ثقة وتفويض من خامنئي لإدارة الشأن السوري. استقبلت موسكو الرسالة في الإطار الذي تعتمده منذ انخراط الروس في الحرب السورية، وفحواه أن الخطط، إن وجدت، تناقش مع طهران، والتكتيك الميداني يبحث مع حزب الله على الأرض عندما تقتضي الحاجة فقط.

جس النبض هو العنوان الأصلح لما جرى بين وفد حزب الله وقادة الدبلوماسية الروسية، فرئيس الوفد اللبناني رئيس كتلة الوفاء للمقاومة محمد رعد هو نفسه من جاء موسكو قبل عقد من الزمن ليجس نبض الكرملين إزاء ما يحصل في سوريا بعد أشهر قليلة من اندلاع الثورة فيها. أما على الجانب الآخر فليس هناك أبرع من "الثعلب" وزير الخارجية سيرغي لافروف ونائبه ميخائيل بوغدانوف في قراءة ما بين السطور وصياغة الرسائل المشفرة ذات الأوجه الكثيرة في التأويل والتحليل والتفسير.

أراد الروس زيارة الوفد بقدر ما أرادها حزب الله اللبناني، ويبدو أن الأجوبة غير الشافية هو ما حصل عليه الطرفان من بعضهما. تماما كما يحدث على الأرض فالروس وحزب الله يعززان نفوذهما في سوريا بشكل مستقل عن بعضهما، وهذا التعزيز يحمل طابعا تصادميا بينهما أحيانا كثيرة، وخاصة في الفترة الأخيرة. كل منهما بات يشكل عبئاً على الآخر ولكنه لا يستطيع الاستغناء عنه. وهذه المعادلة المستحيلة لن تحل إلا بتدخل طرف ثالث ليعين أحدهما على الآخر، والوحيد القادر على هذا هو الولايات المتحدة.

عندما يقول الأمين العام لحزب الله إن روسيا ليست جزءاً من "محور المقاومة" فهو يقصد هذا ضمن مقاصد عديدة. يعرف حسن نصرالله أن الروس يسهلون للإسرائيليين قصف مواقع الحزب في سوريا، ويعرف أيضا أن موسكو تريد أن تنفرد بالميدان السوري لترسخ وجوداً دائما في منطقة الشرق الأوسط وعلى ساحل المتوسط، ولكن المواجهة مع الروس لا يمكن أن تقع إلا بأوامر إيرانية لن تصدر الآن.

كما قلنا الطرف الوحيد الذي يمكنه أن يغلّب أحدهما على الآخر هو الولايات المتحدة. ولكن السؤال هو هل تحتاج واشنطن إلى منح كامل سوريا للروس أو الإيرانيين؟ أليس من الأفضل أن تبقي على العداء المبطن بينهما لربما استدعت الحاجة إلى تفجيره في المستقبل؟ ما الذي ستجنيه واشنطن من نصرة أحدهما على الآخر وهي لم تنل بعد من طهران قبولا على إبرام اتفاق نووي جديد، ولم تحصد من موسكو تعاونا لا في سوريا، ولا في ملفات أخرى أكثر أهمية بالنسبة إليها وإلى أعضاء حلف الناتو؟

ولأن واقع الحال يقول إن الولايات المتحدة ستبقى طرفا معطلا لحل الأزمة السورية إلى أجل غير مسمى، تواصل موسكو وحزب الله سياساتهما في تحويل بلدات ومناطق وأحياء وقرى في سوريا إلى مستعمرات روسية وإيرانية تدار مباشرة من موسكو وطهران، ولا تتدخل فيها دمشق أبداً. لا تجد في تلك المناطق شرطة أو جيشا سوريين، وإنما يزرع الأسد فيها بعض العسس لمعرفة ما يحدث إن أمكن ذلك طبعاً.

> روسيا وإيران لن ترهنا وجودهما في سوريا بمستقبل شخص واحد ولكن توقيت إزاحة الأسد عن السلطة وطريقتها هما ما يشكل فارقا بالنسبة إلى كليهما فالأسد في نهاية المطاف جسر نحو مرحلة ثانية

للروس والإيرانيين أيضا عسس على بعضهما في سوريا. كل منهما يريد أن يعرف خطط الآخر ليقطع عليه الطريق أو يسبقه بخطوة. ولأن موسكو كثفت جهودها في تحريك الأزمة السورية عربياً وفرضت تغييرات كثيرة داخل الجيش والأمن والاقتصاد السوري مؤخرا، ثارت حفيظة حزب الله وراح يبحث وراء أسباب التحركات الروسية المتسارعة. استشعر الكرملين الأمر واستقبل وفد الحزب ليؤكد لهم المؤكد منذ اللحظة الأولى للتدخل الروسي في سوريا، لن يستبدل الأسد دون صفقة مع الولايات المتحدة، ولأن الروس يريدون هذه الصفقة أكثر من غيرهم فهم يبدون مرونة إزاءها. في جعبتهم خيارات عدة وسيناريوهات مختلفة ولكن المشكلة أن واشنطن لم تقرر بعد تغيير نظام دمشق.